القرآن يرسم لنا طريق قراءته



(كَيتَابُ أَنْزَلْنْتَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكُ لَيِيَدَّ َبَّرُوا آيَاتِهِ وَلَيِيَتَذَكَّ َرَ أُولُو الأَلْبَابِ) (ص/ 29).

في هذه الآية بيان للمقصود من تنزيل القرآن، وهو تدبر الناس لآياته، وأنَّ هذا التدبر هو علامة بركته، وتحصيل نفعه وفائدته.

(إِنِّ َ السَّنَدِينَ يَتَّلُونَ كَيَّابَ اللَّهَ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَّفَقُوا مِمَّاَ رِزَقَّنَاهُمْ سِرِّاً وَعَلَانِيَةً يَرَّجُونَ تَجَارِةً لَنَّ تَبُورَ * لَيهُو َفَّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَصْلَهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر/ 30-29).

وفي هذه الآية عرض لنموذج رائع من القراء لكتاب ا□، الذين أثمرت قراءتهم إقامة للصلاة، وإنفاقا ً في سبيل ا□، هذا النموذج الذي تعامل مع كتاب ا□ تعاملاً ناجحا ً يستحق المثوبة والتكريم من ا□.

(السَّذَيِينَ آتَيِعْنَاهُمُ العُكَيِتَابَ يَتعْلمُونَهُ حَقَّ تَلِلوَتِهِ أُولَـَئَلِكَ يهُؤَّمَـِنهُونَ بِهِ.ِ) (البقرة/ 121).

وها هنا توضيح للتلاوة المطلوبة، والتي هي سمة المؤمنين، وهي أن يتلوه حقّ تلاوته، أي أن يقرؤوه بوعي وإدراك لمعانيه، وتطبيق لأوامره ونواهيه.

(أَ فَلا يَتَدَ بِّ َرِ ُونَ الْقُبُرِ ْآنَ أَ م ْ عَلاَ ي قُللُوبٍ أَ قَ ْفَاللُهِ َا) (محمِّد/ 24).

هنا يأتي التساؤل الإلهي، بالنسبة إلى هؤلاء القراء الذين ترد ألسنتهم كلام ا⊡، دون وعي لمقاصده، ولا تطبيق لأحكامه؛ هل أقفلت قلوبهم وعطلت عقولهم، فلا تتدبر ما تقرأ، ولا تنتفع به؟

(أَلَمَ ْ يَأَ ْنِ لَلَّهَ وَ مَا نَوْ اَنَ ْ تَخْشَعَ قُللُوبُهُمْ ْ لَذَكَرْ اللَّهَ وَمَا نَزَلَ مِنَ الدَّحَقِ ّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذَيِنَ أُوتُوا الاْكَتِابَ مِنْ قَبْلُ ُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ وَقَسَت ْ قُللُوبُهُمْ ْ وَكَثَيِر ٌ مِنْهُمُ ْ فَاسِقُونَ * اعْلاَمُوا أَنَّ َ اللَّهَ يَحُيْبِ الأَرْضَ بِعَدْ َ مَوْتَبِهَا قَدْ ْ بِيَّنَا لَكُمُ الآياَتِ لَعَلَّكُم ْ تَعْقَللُونَ) (الحديد/ .(17-16

وتأتي الدعوة الإلهية من جديد إلى الذين عطلوا أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم عن ذكر ا□ وما نزل من الحق ، أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يفتحوا مغاليق قلوبهم، ويزيلوا عنها ما ران عليها من الصدأ لطول الأمد، وأن يثوبوا عقولهم بعد أن يزيلوا عنها ما تراكم عليها من غبار التقليد عبر السنين، وأن يعيدوا قراءة كتاب ا□ ويتلوه حق تلاوته، بأعين ٍ مدركة ٍ للنصوص، مفتوحة على الواقع، فسوف يجدون أن "ا□ تعالى قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها، قادر على أن يعيدهم إلى الحياة والعزة بالقرآن من حديد.

وكأني بالآية تشير إلى سُنتَّة ثابتة تخضع لها كلَّ المجتمعات التي تنهض على دويَّ رسالة ، توقظها من سباتها، فتحملها وتنطلق بها، واعية ً لمفاهيمها، مدركة ً لمقاصدها، تواجه بها كلَّ الوقائع والمستجدات، فإذا ما اطمأنت لنجاحها، واسترخت في عزيمتها واجتهادها، وطال عليها الأمد فأورثها قسوة القلب، والعجز عن مواكبة المستجدات والتعامل معها، إذا بها تلوذ بالنصوص، وتستلهم الأقدمين تريد أن تبعثهم من قبورهم، وتسألهم أن يطلوا عليها من وراء القرون لحل مشاكلها، فيعجزون عن ذلك، وتسقط صريعة جهلها وجمودها وكسلها واسترخائها.

وينبغي لنا أن نلاحظ أنّ المخاطبين في هذه الآية هم المؤمنون الذي ما زالوا يتلقون الوحي، ويعيشون في صحبة الرسول (ص)، وها هو الوحي يتخوف عليهم من طول الأمد الذي أصاب الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، فكيف بنا نحن الذين تفصلنا عن زمن تنزل الوحي القرون الطوال؟!

المصدر: كتاب القراءة... أو ّلا ً